فذلكة طبية

(١) داء الوهم

ما من طبيب مارس صناعة الطب والعلاج مدة قصيرة الاَّ اتفق لهُ ان شاهد مرضى يشكون داء لو قضى العمر في التفتيش عنهُ لعزَّ عليهِ الاهتداء الى معرفة اعراضهِ والتثبت من حقيقة نوعهِ لانهُ معدوم الاثر لا صورة لهُ في غير مخيلة الواهم انهُ مريض بهِ والوهم داء لا اعراض خاصة لهُ ومن اصعب الادواء في المعالجة والشفاء كما سنبينهُ في ذكر بعض الاصابات التي شاهدناها

الاصابة (١) ضابط كبير في الحكومة المصرية عرفناهُ منذ سبع سنوات كريم النفس دمث الاخلاق انيس المجلس شهم اديب يعرف الانكليزية ويحسن التكلم والكتابة باللغة الافرنسية . قدم مصر منذ بضعة اشهر في اجازة مرضية للتداوي من داء النزلة الوافدة واتفق لهُ ان الطبيب الذي شاهدهُ ايد اعتقادهُ انهُ مصاب بالنزلة الوافدة ووصف لهُ دواء لم يحصل على فائدة منهُ .فحضر لعيادتنا في المستشفى وبعد اجراء الفحص والتأمل في كلامهِ وسرد تاريخ المرض وقياسه على معرفتنا السابقة بهِ اتضح لنا انهُ واهم لا مريض وطلبت من حضرة زميلي في المستشفى الدكتورين كولمن وبتمن ان يساعداني في التغلب على وهمهِ وازالة ما رسخ في ذهنهِ من الاوهام ففحصاهُ فلم يجدا بهِ علة ولاسيما داء النزلة المتخوف منهُ والمعتقد انهُ مصاب بهِ وباهم مصاعفاتهِ ومضى مقتنعاً بصحة ما قررناهُ من التشخيص والمعالجة .ولكنهُ ما كاد يبلغ بيتهُ وينفرد في غرفتهِ حتى عاودهُ الوهم فكتب يدعونا اليهِ ويلح علينا في سرعة الحضور لاسعافهِ فعدناهُ وفي حال وصولنا طلب منا ان نفحص صدرهُ وتتحقق سلامة الرئة من مؤثرات النزلة ولم يكن اصيب بهذا الداء الوافد ولا بداء آخر سوى داء الوهم .فاجبنا طلبهُ وفحصنا صدرهُ وتركناهُ معتقداً انهُ مصاب بضعف الجهاز العصبي وانهُ يحتاج الى راحة طويلة الامد . وعدناهُ بعد ذلك مراراً وذهبنا معهُ الى بعض الاطباء الاختصاصيين واستنفدنا ما بوسعنا فلم تقدر على افادتهِ

الاصابة (٢) عالم من علماء اللغة والبيان قال انهُ عرض نفسهُ على معظم اطباء مصر المشهورين ولا يزال يشكو من داء عجز الاطباء عن تخفيف وطأتهِ عنهُ او

محو آثاره من مخيلته وقد فحصناه فوجدنا جسماً ممتلئاً صحة ونضارة منتول العضل سليم الاعضاء جهازهُ الهضمي قائم بوظيفته خير قيام وفي غاية الانتظام وشهيتهُ للاكل جيدة جداً ينام الليل بطوله نوماً هادئاً وكل شيء فيهِ عادي ما خلا حاسة السمع فانهُ فقد وظيفة احدى الاذنين . والغريب المدهش في هذا الصديق المريض انهُ نابغة في النثر والنظم ولهُ مصنفات عديدة ناطقة بفضلهِ وغزارة علمهِ ومع ذلك يسمح للوهم ان يستولي عليهِ فوصفنا لهُ اكسير الارادة وان يعول عليهِ وحدهُ في التغلب على دائهِ

الاصابة (٣) سيدة فاضلة مهذبة فجعها الدهر بزوجها فاصابها من شدة الحزن عليهِ والاهتمام بتربية الاولاد هزال وضعف خفيفان ولكنهما كانا كافيين لاقلاقها واحداث الخوف في نفسها على صحتها فقامت تطوف على الاطباء وقام في ذهنها داء التدرن وقد فحصناها بالتدقيق فلم نجد اعتقادها صحيحاً والطبيب الذي ينال ثقة المريض بهِ ينال ذلك المريض الشفاء على يدهِ

وعدد امثال هؤلاء المرضى كبير جداً لا يقع تحت حصر ولاسيما الذين يتداوون بالطلاسم والتعاويذ كالزار واشباههِ فحالتهم تستنزل الرحمة والشفقة

(٢) المعالجة الروحية

سيق رجل من تجار نيوجرزي باميركا الى محكمة الجنايات في الربيع الماضي لانهُ لم يداوِ ابنة لهُ عمرها ٩ سنوات من داء الدفتيريا الذي اصابها وماتت بسببهِ فحكمت عليهِ المحكمة بغرامة الف ريال وحبس ستة اشهر والزمتهُ بدفع مصاريف القضية وقالت انها اكبر غرامة يجيزها القانون على من اهمل واجباً مقدساً محترماً من الناس جميعاً . على ان هذا الجرم لم يكن غريباً في نوعهِ فقد يحدث ويتكرر امثالهُ اليوم وغداً فهو غير مقصور على تاجر واحد في مدينة اميركية بل يحدث في كل مكان وزمان وانما وجه الغرابة فيهِ ما كان من مدافعة الرجل عن نفسهِ وتجريح الحكم الذي صدر عليهِ فقد قال انهُ داوى ابنته على حسب تعاليم الجمعية الروحية في معالجة المرضى التي هو عضو فيها وكما يداوي الكثيرون مرضاهم ويعتقدون مثلهُ بصحة العلاج وبكفاءته للشفاء وعليهِ فهو لا يشعر قط انهُ ارتكب جرماً أو اهمل حقاً عليهِ لابنتهِ او للآخرين في مداواتها بالادوية الروحية

ولكن المحكمة فندت اقوالهُ واظهرت فساد معتقدهِ بقولها ان ما وصل اليهِ

العلمُ في عصرنا الحاضر عصر النور من الحقائق العلمية الفنية في مداواة الآفات الخبيثة والادواء المعدية لهو نتائج مباحث وتجاريب واختبارات عقود من السنين فليس من العدل ان تهمل لمجرد اعتقاد واهٍ ولا ينتفع بها بل يمتنع عن استخدامها في اوقات ملائمة لدفع الخطر من داء معدٍ فتاك او لمداواته خصوصاً اذا كان المريض صغير السن لا يملك قوة الاختيار كابنة الرجل. لذلك حكمت على المسئول عنها الذي هو ابوها بغرامة وحبس كما تقدم تأديباً لهُ وانذاراً لمن تحدثهُ نفسهُ بأن يعمل عملهُ

ولما صدر الحكم ونشر في الجرائد احدث تأثيراً سيئاً في نفوس عدد ليس بقليل من اعضاء تلك الجمعية وبعضهم نشر حيثيات من الحكم وعدّهُ جائراً والبعض قال عنهُ انهُ جناية لا يزيل اثرها قنطار من البخور وذنب لا يمحوهُ صيام شهر ولا صلاة دهر . وقال آخر هل كل من تداوى من داء الدفتيريا بالطرق العلمية كتب لهُ الشفاء من ذلك الداء كلاَّ اذن لماذا نحكم على فساد المعالجة الروحية ونعتبرها ضلالاً وجهالة ما دامت نتيجة المعالجة في الاثنين واحدة اي كما يموت بهذه يموت بتلك. والذي جعل للحكم اهمية واعتباراً تعليق المجلة الطبية عليهِ فقالت ان من جملة الادوية القائمة على حقائق علمية دواء الدفتيريا الذي نحن بصدده فوجود افراد في وقتنا هذا يجهلون قيمتهُ ويعرضون عن الانتفاع بهِ في دفع فائلة داء مخيف شديد الخطر ولاسيما اذا كان المصاب بهِ صغير السن لاعتقادهم ان المعالجة الروحية تقوم مقامهُ لهو مصاب مؤلم بل مرض عضال فينا . وعلينا ان نداويهُ بالاحكام الصارمة وبالنصائح ونشر الحقائق في مداواة الادواء المعدية وانذار من يتهاون بها ولا يعمل بمقتضاها . ولا يلزمنا في ذلك ان نتعرض للعقائد الدينية الا التي نشأ عنها خسائر نفوس كابنة الرجل التي ماتت بسببها وقد حكم على ابيها وعُدَّ مجرماً قاتلاً في نظر القانون لانهُ لم يقم بحقوق الوصاية على ابنتهِ ولو فعل بنفسهِ ما فعلهُ بابنتهِ لما كان الاعتراض عليهِ وجيهاً الى حد الحكم فقد كان يحجر عليهِ مدة لصابتهِ بالمرض لئلاَّ يتسرب الداء منهُ الى غيره ولهُ في مدة الحجر ان يتعاطى من الادوية الروحية كؤوساً مترعة

فهذا لو سارت حكومتنا على هذا المنوال فتحكم على من يقصر في مداواة ولدهِ احكاماً صارمة ليس في داء معدٍ فقط بل في جميع الادواء على السواء

الدكتور شخاشيري